**معابد ديونيسوس**

**معبد ديونيسوس في الاسكندرية**

يعزى للملك بطلميوس فيلادلفوس أنه أول من أنشأ معبد لديونيسوس فى الإسكندرية وكان يرعى كهنته ويجزل لهم العطاء. ويحدثنا نقش يونانى، يرجع إلى عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس ، أن المعبد كان مزيناً بالنقوش وبأسماء مشاهير الفن الديونيسى. وأن بيرجنيس بن ليونتيسكوس   السكندرى عندما عائداً مع السفارة المصرية من الخارج ذهب وزار المعبد ونقش اسمه على أحد جدران المعبد، على اعتبار أنه كان من أشهر فنانى المسرح الديونيسى آنذاك، ولا نعرف على وجه الدقة موقع هذا المعبد. ويؤكد المؤرخون أن بطلميوس فيلوباتور أطلق اسم ديونيسوس على أكبر وأشهر حى فى الإسكندرية، وكان يتكون من ربوع صغيرة أُخذت أسماؤها من الأساطير الديونيسية. وإذا جاز لنا الربط بين هاتين المعلومتين ، فلا نستبعد أن فيلوباتور أطلق أسم ديونيسوس على الحى الذى يوجد فيه أعداداً كبيرة من معتنقى ديانة ديونيسوس ، وبالتالى فمن المنطقى أن يوجد المعبد داخل هذا الحى لأنه مكان تجمع مقيمى الطقوس الدينية للمعبود. وكان فيلوباتور أكثر الملوك البطالمة اهتماماً بديونيسوس ورعاية له ، حتى أطلق عليه المؤرخون لقب أى ديونيسوس الجديد. ويذكر أنه حاول أن يجمع كهنة ديونيسوس من أنحاء مصر إلى الإسكندرية ، ليضعوا كتاباً موحداً يُرصد فيه الطقوس الدينية

السرية لعبادة ديونيسوس وتوضع فى المعبد . وفى سبيل ذلك أصدر مرسوما ملكيا ، يطلب فيه من الكهنة الذين يقيمون طقوس عبادة ديونيسوس فى داخل مصر أن يؤتوا بطريق النهر إلى الإسكندرية





ويحدد فيه مدة لذلك ، فكهنة نقراطيس أو من هم بالقرب منها ، أمامهم عشرة أيام من تاريخ هذا الإعلان ، أما من هم أبعد من نقراطيس فأمامهم عشرين يوماً ليؤتوا إلى الإسكندرية . وعليهم أن يسجلوا أنفسهم لدى اريستوبولوس فى مكتب التسجيلات فى غضون ثلاثة أيام عقب وصولهم . ويعملوا فى الحال على تسليم النسخ التى توارثوها من ثلاثة أجيال مضت ، وأن تكون نسخ مختومة ، وكل واحد عليه أن يكتب أسمه على نسخته .

ويظهر من هذه الوثيقة أن الملك فيلوباتور حاول أن يضع قواعد ثابتة لعبادة ديونيسوس فى مصر واستدعاء هؤلاء الكهنة إلى الإسكندرية وتسليمهم كل النسخ الخاصة بطقوس العبادة هى محاولة منه لجمع كل هذه النسخ فى كتاب موحد يضعه فى معبد الإسكندرية ليكون هو المرجع الموحد لكل كهنة ديونيسوس ومعابده فى مصر . ولعل حرصه على أن تكون هذه النسخ من ثلاثة أجيال سابقة ، ليرجع إلى أقدم معرفة لهذه الطقوس وبالتالى لا تحدث أية خلافات فيما بعد فى مراسم العبادة .

ويبدو أن فيلوباتور كان يهدف من ذلك أيضاً أن يُصدر كتاباً مقدساً واحداً لديونيسوس على غرار الكتاب المقدس الذى لدى اليهود ، وبخاصة بعد فشله فى إقناع يهود الإسكندرية بعبادة ديونيسوس وإجبارهم على دخول معبده وما انتهى إليه من صدام أدى إلى تركه إياهم وتفرغه لوضع كتاب مقدس لمعبوده. وعقب ذلك التاريخ ، لم يرد ذكر لمعبد الإسكندرية إلا فى وثيقة بردية ترجع إلى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الميلادى ، تشير عرضاً إلى حراسة خاصة من أجل لفائف كبيرة بها أسرار ديونيسوس فى المعبد. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن المعبد ظل متواجداً وتمارس فيه الطقوس الدينية طوال العصرين البطلمى والرومانى وحتى أواخر القرن الرابع الميلادي عندما هُدم المعبد على يد رجال الامبراطور ثيودوسيوس الأول عام 391م. ثم اختفى فيما بعد ولم نعثر له على بقايا أثرية وبخاصة بعد انتشار المسيحية بشكل كبير وتراجع الوثنية من جهة أخرى .

**معبد ديونيسوس في الفيوم**

يقع هذا المعبد داخل قرية ديونيسيا ، إحدى قرى إقليم أرسينوى ، تتبع قسم ثيمستيس، وتقع على الطريق الجنوبى الغربى من بحيرة قارون ، على بعد 51 كم من مدينة الفيوم . تأسست فى القرن الثالث قبل الميلاد فى عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس. أُطلق عليها أسم " ديونيسيا " نسبة إلى المعبود ديونيسوس الذى كان يُعبد فيها . أما بخصوص المعبد ، فيطلق عليه الآن معبد " قصر قارون، وهو واحد من المعابد التى بُنيت فى العصر البطلمى خصيصا من أجل معبود يونانى . زد على ذلك أنه المعبد الوحيد

الباقى حتى الآن من العصر البطلمى ليكون شاهداُ على عبادة ديونيسوس فى إقليم أرسينوى. ويعطينا فكرة عن طقوس العبادة داخل المعابد . يتكون المعبد من ثلاثة طوابق بنيت من الحجر الجيرى ، وهو مستطيل الشكل بطول 36.5 م وعرض 13.5 م تقريباً . ويبلغ ارتفاع الواجهة 11 م ) شكل 1( ويتوسطها مدخل على قمته نحت بارز لحيات الكوبرا المصرية المتوجة بقرص الشمس . ويوجد أمام الواجهة مجموعة من بقايا أعمدة مبنية من الحجر الجيرى ، بعضها أنصاف أعمدة بنيت على جدار ملاصق للواجهة ، وبعضها الآخر أعمدة كاملة على مسافة بضع أمتار من الواجهة. ويحيط بها بقايا جدار من الحجر الجيرى مستطيل الشكل وبطول الواجهة من الخارج ، مما يوحى بأنها بقايا صالة أعمدة مكشوفة تؤدى إلى داخل المعبد، وهذا على غرار المعابد المصرية التى تبدأ عادة بصالة أعمدة مكشوفة ويبدو أن هذا الجزء بنى فى فترة لاحقة على بناء المعبد ، حيث أن شكل الحجارة المستخدمة وطريقة البناء والجدار الملاصق والمبنى عليه أنصاف الأعمدة ، يوحى بأن هذه الصالة أُضيفت فى العصر الرومانى .

أما داخل المعبد ، فأول ما يقابل الزائر فى الطابق الأول من المعبد ، صالتين متتاليتين ثم قدس الأقداس. والصالة الأولى مستطيلة الشكل ، فى الجهة الشمالية منها حجرتين متجاورتين لا يوجد فيهما أية نقوش أو رسومات، كما أن طبقة المحارة مفقودة ولم يبق منها سوى مداميك البناء، وفى الجهة الجنوبية من الصالة حجرة واحدة بالحالة نفسها التى عليها الحجرتين السابقتين . ثم نتجه بعد ذلك إلى الصالة الثانية ، فنرى حجرة شمالية وأخرى جنوبية لايوجد فيهما أية نقوش أو رسومات. أما الصالة الثالثة والمإدية إلى قدس الأقداس فنرى على مدخلها زخارف بارزة لحيات الكوبرا المصرية. وفى الجهتين الشمالية والجنوبية من الصالة يوجد ممرين ، الشمالى يؤدى إلى ثلاث حجرات صغيرة متجاورة ليس فيهم أية نقوش، وفى نهاية الممر سلالم تصل بنا إلى الطوابق العليا. وأيضا فى الممر الجنوبى ثلاثة حجرات صغيرة تنتهى إلى السلالم المؤدية إلى الطوابق العلوية.

أما قدس الأقداس نفسه ، فيه ثلاثة مقاصير قائمة على مصطبة بارتفاع متر عن أرضية المعبد ، ويوجد أعلاه زخرفة عبارة عن إفريز بشكل حيات الكوبرا المصرية . والمقصورة الوسطى تضم ثلاثة كوات متداخلة ذات أشكال مستطيلة وليست بها أية نقوش خصصت لعبادة الإله ديونيسوس. والمقصورة اليمنى مستطيلة أيضا ، ولكنها صغيرة نسبيا عن المقصورة الوسطى وربما كانت مخصصة لعبادة الإله سوبك علي هيئة آدمية، وهو الإله المحلي للإقليم . أما المقصورة اليسرى فبها كوة ذات شكل قبى وهي المقصورة المخصصة لعبادة الإله سوبك على هيئة تمساح وهي هيئته المشهور بها ، ونفهم من ذلك أن هذه المقاصير الثلاثة كانت تستخدم لعبادة أكثر من معبود .

أما أرضية المعبد ، فنجد بها فتحات عديدة تؤدى إلى سراديب داخلية ، بعضها مليئة بالرديم ولم يستطع أحد أن يدخلها ليتعرف على ما بداخلها من آثار أو غيرها وبعضها الآخر يمكن نزولها بواسطة الحبال أو السلم الخشبى المنقول ، وبخاصة الفتحات التى توجد أسفل قدس الأقداس ، التى يوجد بينها ممر يؤدى إلى مذبح المعبود، وقد نزلها بعض المهتمين بالآثار ولم يعثروا فيها على أية آثار أو نقوش ولا حتى رسومات . ولا نعرف على وجه اليقين كيف كان ينزل إليها المتعبدين ، وهل كان هناك مدخل سرى غير معلوم ولم يتم اكتشافه حتى الآن ؟ ، أم أنهم كانوا ينزلون بواسطة السلبلم الخشبية المنقولة . ويؤكد مفتشو آثار المنطقة أنهم عثروا داخل هذه السراديب على تمثال نصفى للمعبود ديونيسوس ، ومحفوظ الآن بمتحف كوم أوشيم بمحافظة الفيوم . والتمثال من حجر الجرانيت ، ويبلغ ارتفاعه متر ونصف تقريبا وهو بشكل آدمى للمعبود ديونيسوس .

أما الطابقين الثانى والثالث ، فيوجد بهما حجرات صغيرة وكثيرة ومنتشرة فى المعبد وصلت إلى 365 حجرة . وبرغم ذلك لم نجد بها أية نقوش توضح لنا الغرض من إنشاء هذه الحجرات وإن كنا نلاحظ أن فى بعضها فتحات للتهوية والإضاءة وبعضها الآخر ليس بها فتحات ، ويستعاض عنها بفجوات فى الجدران لوضع مسارج الإضاءة . ويذكر أن علماء الحملة الفرنسية أثناء زيارتهم لهذا المعبد فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى عثروا داخل إحدى هذه الحجرات على لوحة من الحجر الجيرى ، محفوظة الآن بالمتحف القومى فى باريس وبها نحت بارز للمعبود ديونيسوس على هيئة ثعبان ذو رأس آدمى للمعبود نفسه وبجواره ثعبان على شكل أنثوى وبرأس سيدة عليها تاج ايزيس فى العصرين البطلمى والرومانى وربما كانت هى المعبودة ايزيس فى حالة تزاوج مع ديونيسوس ، والمعبودان داخل إطار من النحت البارز يعلوه جملون قائم على عمودين يرتكزين على قاعدة مستطيلة لها إطار خارجى وليس بداخلها أية نقوش وقد يتفق هذا الطراز الموجود فى النحت مع طرز النحت فى العصر البطلمى وبخاصة الجملون والعمودان اللذان يتشابهان إلى حد بعيد مع الطراز المعمارى الدورى .

ثم ننتهى إلى سطح المعبد ، حيث نرى فيه بعض الحجرات الصغيرة أيضا وكثيراُ من العناصر المعمارية المتهدمة ولم نجد فيه سوى نقش واحد ، وهو تصوير نصفى لأحد الملوك أو الأباطرة فى زى فرعونى وهو يقدم القرابين لسوبك ، المعبود المحلى لإقليم أرسينوى.

ويقدم لنا هذا المعبد الفريد تصوراُ واضحا لكل صور عبادة ديونيسوس . فالفتحات التى فى أرضية المعبد وتؤدى إلى السراديب الداخلية ، هى الجانب السرى فى عبادة ديونيسوس . فنحن نعلم أن المعبود كانت له طقوس سرية جداً تؤديها طائفة دينية يطلق عليها الأورفية وتجد فى هذه السراديب المكان المناسب لها لممارسة طقوسهم الخاصة . وكانت لهم مؤلفاتهم الخاصة التى يتداولونها فيما بينهم . ولكن لسوء الحظ أن معظم هذه السراديب مليئة بالرديم ، وتجعل من العسير علينا النزول إليها للتعرف عن كثب على هذه الطقوس وكيف كانت تُمارس ، وهل هناك نقوش على الجدران أم لا ؟ . وإن كنا لا نستبعد أن هذه السراديب كانت تُمارس فيها طقوس ليلية سرية ، كان أبرز مظاهرها تصوير زواج رمزى بين المعبود وتابعاته اللبتى أُطلعن على أسراره ، وذلك بوضع الثعبان المقدس أحد رموز المعبود داخل ملابس أولئك السيدات . أما قدس الأقداس ، فهو الجانب المعلن من عبادة ديونيسوس ، الذى يوضع فيه تمثال المعبود ، ويُقدم علي مذبحه القرابين المقدسة . وكانت الخنازير والثيران والماعز أشهر الحيوانات التى تُقدم كقرابين لديونيسوس ، حيث تُعتبر هى الأخرى من رموزه .